خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٤/١٠

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

سأقدم بعض الأحداث التي تتعلق بجهود سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في إقامة التوحيد، اقتداءً بسيده ومولاه صلى الله عليه وسلم، وما كان يضربه من أمثلة عملية، وما كان يوصي به أتباعه وأصحابه، وكيف كان يربّيهم. يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه: كان المسيح الموعود عليه السلام يقول: "مات ولدُ شخص، فزاره صديقه يعزّيه، فصرخ الرجل وأخذ يبكي بصوت عال ويقول: إن الله قد ظلمني ظلما عظيما، وكأنه كان يشتكي من الله لأنه تعالى قد سلب حقّه بحسب زعمه. فقال المسيح الموعود عليه السلام في هذا الموضوع: على المرء أن يفكّر هل يكون للعبد حق على الله تعالى؟ إنني أتعجب دائما من الذين يتفاخرون بصلاتهم وصيامهم وزكاتهم وحجّهم وتقواهم وصلاحهم، ثم إذا أصابتهم مصيبة يصرخون ويقولون: إن الله تعالى قد ظلمنا ظلما عظيما. ولكن ذلك الشاعر الهندي الشهير الذي كان جاهلاً بالدين ومدمنًا على الخمر، قال في ساعة حقٍّ

جان دی، دی ہوئی اسی کی تھی   حق تو یہ ہے کہ حق ادا نہ ہوا

"أي قد ضحيتُ بنفسي في سبيل الله تعالى، ولكنها كانت هبة منه تعالى، فالحق أنني لم أستطع أن أؤدي حقّه عز وجل".

ينبغي للإنسان أن يتذكر دائمًا أن النعم التي أُعطيها، والأولاد الذين رُزق بهم، إنما هي من فضل الله تعالى وحده، وأن هذا الأمر يقتضي منا أن نظل متواضعين لله تعالى دائما، وأن نُعلن توحيده بكل قول وفعل، وألا تتطرق إلى قلوبنا أدنى شائبة من الشرك، وألا نظن أن لنا على الله حقًّا. فأداء قليل من العبادة لا يُوفّي حق الله تعالى، بل نحن نعبده لمصلحتنا نحن.

أما الشاعر المذكور آنفا فيقول هو أيضا أن الله رزقنا الحياة وخلقنا في هذه الدنيا، ولا نستطيع أن نؤدي حق شكره.

ويروي المصلح الموعود ﷜ حادثا آخر يوحي بردّ فعل المسيح الموعود ؈ على وفاة أحد أبنائه، فيقول: كان المسيح الموعود ؈ يحب ابنه الأصغر "مبارك أحمد" حبًا شديدًا، وقد اعتنى به في مرضه عناية بالغة حتى ظن الخليفةُ الأول ﷜ أن وفاة "مبارك أحمد" ستصيب المسيح الموعود ؈ بصدمة شديدة. كان الخليفة الأول يجس نبض "مبارك أحمد" في آخر لحظات حياته، فطلب من المسيح الموعود ؈ أن يُحضر المسك لأن نبض مبارك أحمد كان قد أخذ يتوقف، فتأثر الخليفة الأول بفكرة أن المسيح الموعود سيصاب بصدمة كبيرة بوفاة مبارك أحمد، حتى سقط على الأرض خوفًا على المسيح الموعود ؈ من صدمة موت ابنه. ولكن المسيح الموعود ؈ لما علِم بوفاة ابنه، جلس لتوّه يكتب الرسائل لأصحابه صابرًا محتسبًا، يخبرهم أن مبارك أحمد قد توفّي، ولكننا لا نحزن بل نرضى بمشيئة الله صابرين. ثم خرج وبدأ يتكلم مع أصحابه مبتسمًا ويقول: لقد تحقق وحي الله تعالى الذي تلقيته عن ابني مبارك أحمد. ومما قاله ؈ في بيت شعره:

بلانے والا ہے سب سے پیارا اسی پہ اے دل تو جاں فدا کر

أي يا قلب، إن الذي دعاه هو أحبُّ الأحبّة، فكن أنت أيضًا فداءً له ﷻ. كذلك يقول المصلح الموعود ﷜ في موضع آخر متحدثا عن سيرة المسيح الموعود ؈:

لقد سمعتُ من المسيح الموعود ؈ مرارًا أنه كان يذكر السلطان عبد الحميد خان ملك تركيا -الذي عُزل لاحقًا- فيقول: "إن للسلطان عبد الحميد خصلةً أعجبتني كثيرًا، على الرغم مما فيه من أخطاء في أمور كثيرة." وتلك الخصلة هي أنه حين ثارت مسألة الحرب مع اليونان، تقدّم الوزراء بأعذار كثيرة، إذ كان السلطان عبد الحميد يريد الحرب بينما كان الوزراء لا يريدونها فقدموا أعذارا كثيرة. ثم أخذوا يعددون الاستعدادات قائلين: هذا جاهز وذاك جاهز، ثم أشاروا إلى أمر بالغ الأهمية قائلين: إلا أن الشيء الفلاني غير متوفر، وهذا النقص يجعل الحرب أمرًا عسيرًا. ولعل ما قالوه بالتحديد -وهذا هو الأرجح- إن جميع القوى الأوروبية متحدة الآن على نصرة اليونان، ولا حيلة لنا في ذلك.

فلما عرض الوزراء رأيهم ووضحوا المصاعب، أجابهم السلطان عبد الحميد قائلًا: "ينبغي أن تتركوا خانةً لله أيضًا"! كان المسيح الموعود ؈ يستمتع كثيرا بقول السلطان عبد الحميد هذا ويقول: "هذه الكلمة أعجبتني كثيرًا منه، فقد توكّل على الله".

يقول الصاحبزاده مرزا بشير أحمد ﷜ مبينا حادثا يدل على غيرة المسيح الموعود ؈ على التوحيد: حدّثني منشي ظفر أحمد الكبورتهلوي فقال: لقد كتب إلي منشي، أن المسيح الموعود ؈ كان يعاني من الدوار، وذات مرة سمع عن طبيب متخصّص في علاج ذلك، فاستُدعي هذا الطبيب ودفع ؈ نفقات السفر لإحضاره من بعيد، ففحصَ الطبيبُ حضرتَه وقال: سأجعلك تتحسن خلال يومين! (أي أن المشكلة ليست كبيرة وسأشفيك خلال يومين) وحين سمع ؈ هذا الكلام دخل بيته وكتب ورقة إلى

مولانا نور الدين: "لا أريد أن أتعالج عند هذا الطبيب لأنه يدعي الألوهية، فأعطوه مصاريف السفر إضافة إلى ٢٥ روبية واصرفوه". ففعل.

يقول مفتي محمد صادق ﷺ في بيان سيرة المسيح الموعود ﷺ: كان المسيح الموعود ﷺ يقول: "إن الله ﷻ يحب الذين يتحمسون لعظمته وعزته، أمثال هؤلاء يسلكون طريقا دقيقا، ولا يقدر على المشي معهم كل فلان وعلان، فما لم يكن لدى المرء حماس لله لا يقدر على تحصيل أي متعة. ما لم يكن في قلب الإنسان حماس ذاتي لله ﷻ وما لم يتطهر من شوائب النفس ولم يتخل عن التفكير في الفوائد المادية والمنافع لا تُقبل منه أي عبادة أو صدقة، فالذي يكنّ لله ﷻ حماسا يفوق بني جَلدته، فأمثال هؤلاء ينالون البركات من الله".

إذن تستلزم استجابة الدعاء الإيمان واليقين الكامل بتوحيد الله تعالى، وقبل كل شيء ينبغي أن يقوم المرء بالدعاء لطلب محبة الله تعالى ونيل رضاه. فعلى الذين يكتبون إلي أنهم دعوا كثيرا –وقاموا بكذا وكذا من الأعمال، وصلوا النوافل، وأخرَجوا الصدقات– ومع ذلك لم يُستجب دعاؤهم، فعليهم أن يتأملوا قليلا في هذه الوصفة التي أرشد إليها المسيح الموعود ﷺ.

وقد ذكر مرزا بشير أحمد في بيان سيرة المسيح الموعود ﷺ قائلا: لقد كافأ الله تعالى المسيح الموعود ﷺ لمحبته توحيده تعالى بتقدير يليق برحمته البالغة ويليق بعظمته وجلاله، فخاطبه قائلا: "أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي. أنت مني بمنزلة ولدي. إني معك يا ابن رسول الله."

ومعناه: بما أنك في هذا الزمان حامل لواء توحيدي، وتسعى لإعادة إقامة التوحيد المفقود في العالم، لذلك فيا أيها المسيح المحمدي! إنك عزيز علي كتوحيدي وتفريدي. وبما أن النصارى قد جعلوا مسيحهم ابن الله الحقيقي كذبًا وافتراءً، لذلك فقد اقتضت غيرتي أن أحبك حبًّا مثل حب الأب بحق الأولاد، حتى يظهر للعالم أنه يمكن لتلاميذ محمد رسول الله ﷺ أن يبلغوا مقام أطفال الله. وبما أنك مستغرق ليل نهار في خدمة دين محبوبي محمد المصطفى ﷺ، ومتفان في محبته، لذلك أنعم عليك بوسام محبتي الأبدية ومعيتي الدائمة باعتبارك الابن الروحاني لحبيبي.

هذا هو معنى ذلك الإلهام الذي تلقاه المسيح الموعود ﷺ والذي قرأته لكم آنفًا.

ثم يكتب مرزا بشير أحمد في بيان سيرة المسيح الموعود ﷺ قائلا:

كانت غاية البعثة الجليلة للمسيح الموعود ﷺ هي خدمة الإسلام وإقامة التوحيد. وكان في ذلك الزمان – ولا يزال في بعض البلاد حتى اليوم – أشد تحدٍّ للتوحيد هو من قِبل المسيحية، التي تعلّم الشرك الخطير تحت ستار التوحيد، وتجعل المسيح الناصري ابن الله وتُجلسه إلى جنب حضرة الأحدية، والعياذ بالله. ولذلك كان المسيح الموعود ﷺ يفيض حماسًا ضد المسيحية. ولقد وصفت أكبر مهام المسيح الموعود في الأحاديث النبوية بكسر الصليب أيضا. ولذلك كان حضرته يؤكد كثيرًا على وفاة عيسى ﷺ، لأن إثبات

هذه المسألة وحدها يكفي للقضاء على المسيحية. فإن وفاة المسيح تؤدي إلى القضاء على ألوهية المسيح، كما لا يبقى معها أي ذِكر للتثليث ولا أثر له، ولا تبقى عقيدة الكفارة قائمة على قواعدها البالية. فمما لا شك فيه أن عقيدة وفاة المسيح الناصري هي الخطوة الأولى لإثبات صدق المسيح الموعود ؑ، ولكن أهمية هذه القضية- والتي كان حضرة المسيح الموعود ؑ يؤكد عليها كثيرا - هي رد المسيحية المعاصرة وإبطالها. ولذلك كان ؑ يكرر كثيرا قوله: "دعوا المسيح يمت، ففي موته تكمن حياة الإسلام".

ليت إخواننا المسلمين الآخرين يفهمون هذه النقطة فيوافقوننا على الأقل في مواجهة المسيحية. إن قبولهم دعوى المسيح الموعود ؑ أو عدمه هو أمر آخر، ما نقصده هو أن يوافقونا على الأقل فيما تثبت به عظمة الإسلام.

وكان للمعتقدات الباطلة للمسيحية وانتشارها العالمي في هذا الزمان ثقل كبير على قلب المسيح الموعود ؑ لدرجة كان حضرته يقول بكل جلالٍ مضطربًا بالألم والكرب: "يساورني القلق دائما فأفكر في حسم الخلاف بيننا وبين النصارى بشكل من الأشكال. إن قلبي يدمى لرؤية فتنة عبادة الأموات، ونفسي تشعر بضيق لا يطاق. فليس هناك ما يؤلم القلبَ أكثر من أن إنسانًا ضعيفًا قد اتُّخِذ إلهًا، وأن حفنة من التراب قد اعتُبِرتْ رب العالمين. كدت أُهلكُ نفسي حزنًا على هذا الوضع لولا طمأنني ربي القادر أن التوحيد سوف ينتصر في نهاية المطاف."

يقول المسيح الموعود ؑ:

"إن الله تعالى يعلم وهو خير شاهد على كل شيء أن ما أُعطِيتُه في سبيله قبل كل شيء كان قلبا سليما. أي القلب الذي لم تكن له علاقة حقيقية إلا بالله ﷻ. كنت شابا فشختُ، ولكن لم أجد في أية فترة من حياتي علاقة حقيقية إلا بالله... وبسبب حرقة المحبة هذه ما رضيتُ بدينٍ تتعارض معتقداته مع عظمة الله ووحدانيته أو تجلب إليه المهانة بشكل من الأشكال. فلهذا السبب لم تعجبني المسيحية لأن فيها إهانة لله ﷻ عند كل خطوة؛ إذ قد جُعل فيها إنسان ضعيف -لم يقدر على أن يُسعف نفسه- إلهًا."

يقول المفتي فضل الرحمن ؓ:

وُلدتْ لي ابنتان واحدة بعد الأخرى، والحمد لله هما الآن (أي حين تحدَّث عن هذا الأمر) موجودتان ومعافاتان. ثم وُلد لي ولدٌ، وكان لا يتكلم ولا يسمع. ثم وُلِد صبي آخر وكان ذكيًّا ومعافى. أما الولد الأول فكان مريضًا غالبًا لايتكلم ولا يسمع، والثاني كان معافى، وكانت عاداته وهيئته وجماله تسلب القلوب، حتى إنه في سنٍّ صغيرة جدًّا كان يقوم بأعمال البيت، ويفهم الأمور بمجرد إشارة بسيطة. فكان ذكيًّا وفطينًا جدًّا. ولذلك كله أحببته حبًّا شديدًا.

لقد توفي الولد الأول الذي كان مريضا وهو في الرابعة من عمره. أما الثاني فلمّا بلغ أربع سنوات ونصف أصابته حمى شديدة. فعالجته علاجًا كثيرًا فلم أرَ أي تحسّن. فلما مرَّ على مرضه خمسة عشر يومًا أصيب

بالسرسام وهو مرض يؤدي إلى التهاب أغشية الدماغ. فكتبتُ إلى المسيح الموعود عليه السلام رسالة قلت فيها: إن ولدي هذا عزيز عليّ كثيرًا فادع له كي ينجو. فكتب لي الجواب: سأدعو له إن شاء الله، وكتب إضافة إلى ذلك: ولكن إن كان القدر المبرم فلا يمكن دفعه.

فلما قرأتُ هذا الكلام تيقنتُ أن هذا الولد لن ينجو. وفي اليوم الرابع بعد ذلك اليوم كانت حالته حرجة جدًّا، وفي ذلك اليوم كان حضرته ذاهبًا إلى غورداسبور للحضور في المحكمة.

كنتُ أرافق حضرته دائمًا في جميع مواعيده في المحكمة، فحضرتُ أنا أيضًا لمرافقته. فلما خرج حضرته من البيت توجه إليَّ سائلا: كيف حال ولدك؟ فقلتُ: يمكنك سيدي أن تتفضل بنفسك لتنظر كيف أن حالته يرثى لها، فإن البيت قريب. فلما شرف حضرته بقدومه إلى البيت ورأى الولد قال: إنه مريض جدًّا، فلا تذهب معنا اليوم إلى غورداسبور، ثم ذهب حضرته بنفسه. وفي اليوم التالي توفي الولد حوالي الساعة الرابعة. رجع حضرته من غورداسبور في اليوم الذي بعده حوالي الساعة العاشرة. فتقدمتُ لأصافحه، وكانت ابنتي الصغرى -التي هي أصغر من هذا الولد- في حضني.

فلما رآني قال لقد حزنت بوفاة ابنك، ولكني كنت أفكر أن حبك له كان قد بلغ درجة الشرك، لذا فكنت أرى أن بقاءه محال. على كل حال، كنت قد دعوت لابنك كثيرا، وسوف يعطيك الله نعم البدل، الذي يكون سميعا ومتكلما، أي سوف يعطيك الله ابنا آخر صحيحا سليما سيسمع ويتكلم أيضا. وبالفعل رُزقت بعد ذلك ابنان "فضل كريم"، ثم عبد الحفيظ. ثم أجهضتْ زوجتي مرتين وكان الجنينانِ ذَكَرينِ، ثم ولدتْ عبد الله وعبد الكريم وأحمد. وهكذا رُزقتُ بعد ذلك خمسة أبناء، وكلهم أحياء بفضل الله تعالى (وقد عاشوا طويلا).

فكان المسيح الموعود عليه السلام يعلّم أصحابَه التوحيد في كل حين، كما قد دعا أيضا لهذا الصحابي مواساةً له، فاستجاب الله دعائه ورزقه خمسة أبناء.

لقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "يريد الله تعالى أن يجذب إلى التوحيد جميعَ الأرواح ذوات الفطرة الصالحة من مختلف أقطار المعمورة، سواء كانوا في أوروبا أو آسيا، وأن يجمع عباده على دين واحد. هذه هي غاية الله تعالى التي أُرسلتُ من أجلها إلى الدنيا، فاجعلوا تحقيق هذه الغاية نصب أعينكم، ولكن باللطف وحسن الخُلق وكثرة الدعاء".

ثم يقول عليه السلام: "إن جُلّ سعادتي، والهدف الحقيقي مِن بعثتي إنما هو أن تُرسَى في العالم وحدانية الله تعالى وكرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وقال حضرة بير إفتخار أحمد في سياق بيان سيرة المسيح الموعود عليه السلام: كان له عليه السلام خادمٌ اسمه "بيران دِتّه" (أي عطاء المرشدين)، وكنا نناديه بهذا الاسم، ولكنه عليه السلام كان يناديه "بيري دِتّه"، أي عطاء مولاي، أي الله تعالى.

فهذا هو التوحيد الذي قد أمر الله به المسيحَ الموعود عليه السلام في وحيه: "خُذوا التوحيدَ التوحيدَ، يا أبناءَ الفارس". فوضعُ هذا الوحي في الحسبان واجبٌ على نسل المسيح الموعود عليه السلام من أجل بقائهم ورقيهم، بل هو واجب كل المؤمنين المبايعين على يده، لأن الجميع قد صاروا بالبيعة من المنتمين إليه ومِن أولاده ونسله، وإنهم لو ظلوا مستمسكين بالتوحيد فسوف ينالون العز والإكرام في الدين والدنيا، وإلا لن تنفع أحدًا قرابةٌ دموية ولا مجرّدُ بيعة.

وروى الحافظ محمد إبراهيم رضي الله عنه وقال: عندما حضرتُ أنا وحكيم عبد العزيز وحكيم عطاء محمد لزيارة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أول مرة، كان عندها مقيما في غورداسبور. وعندما خرج من غرفته كنا نحن الثلاثة واقفين عند بابها، فأما أنا وحكيم عبد العزيز فسلّمنا عليه وصافحناه، أما الأخ عطاء محمد فخرّ على قدميه عليه السلام، فأمسكه حضرتُه بيده ورفعه وقال إن الله تعالى إنما بعثني لمحو الشرك في هذا العصر، وإن تقبيل الأقدام شرك. ثم إنه عليه السلام صافحه.

وكذلك قال حضرة مرزا بشير أحمد: لقد أخبرني قاضي محمد يوسف البيشاوري عبر رسالة وقال: عندما زرتُ قاديان في الأوائل قدّم شخص ابنَه للمسيح الموعود عليه السلام للقائه، فتقدم الولد لمصافحته وحاول لمس قدميه تعظيمًا له، فمنعه بيديه المباركتين من ذلك، ورأيت وجه المسيح الموعود قد احمر وقال بحماس شديد إن الأنبياء يأتون إلى العالم للقضاء على الشرك، ومهمتنا أيضا القضاء على الشرك، لا نشْره.

لقد قال المسيح الموعود عليه السلام: "إنني أعارض بشدة أن يصوِّرني أحد (هنا قام عليه السلام بتوضيح موقفه من الصور. إن كثيرا من الناس يحتفظون بصوره عليه السلام وبصورهم وصور أقاربهم، لذا أقرأ عليكم هذا المقتبس. فيقول عليه السلام: إنني أعارض بشدة أن يصوِّرني أحد) ويحتفظ بها عنده أو ينشرها كعبدة الأوثان. إني لم آمر قط أن يفعل أحد ذلك، وليس هناك أحد هو أكثرُ مني عداوةً لعبادة الأوثان وعبادة الصور. ولكني قد رأيت أن أهل أوروبا في هذه الأيام حين يريدون أن يقرأوا كتاب أحد فإنهم يودّون أن يروا صورته أولاً، لأن علم الفراسة في أوروبا متقدم جدا والأكثرية منهم يستطيعون بمجرد رؤية صورة المدعي أن يعرفوا ما إذا كان صادقا أم كاذبا. ولأن هؤلاء الناس لا يستطيعون أن يأتوني بسبب بُعد آلاف الأميال، ولا يستطيعون أن يروا وجهي، لذا فإن المتفرّسين من أهل تلك البلاد يتأملون في أحوالي الباطنية من خلال الصورة. وهناك العديد من أهل أوروبا وأميركا الذين بعثوا إليّ برسائل وقالوا فيها لقد تأملنا صورتك، وبناءً على علم الفراسة اضطُررنا للاعتراف بأن من المحال أن يكون صاحب هذه الصورة كذابا. لقد قالت سيدة من أميركا بعد رؤية صورتي إن هذه صورة يسوع، أي عيسى عليه السلام. فلهذا السبب وإلى هذا الحد التزمتُ السكوت بشأن الصور حكمةً ومصلحةً، (أي سمحت بأخذ صورتي من أجل هذه المصلحة، أما إذا انتشر بسببها الشرك فهي ممنوعة البتة) وإنما الأعمال بالنيات. وليس مذهبي أن حرمة التصوير قطعية (أي لا أقول أيضا بأن أخذ الصورة حرام تماما) إذ الثابت من القرآن الكريم أن فِرقة الجنّ كانوا يعملون الصور لسليمان عليه السلام.

وظلت صور الأنبياء بما فيها صورة النبي ﷺ أيضا عند بني إسرائيل لفترة طويلة. وقد أرى جبريلُ النبيَّ ﷺ صورة السيدة عائشة رضي الله عنها في قطعة من حرير. ثم إن صور بعض الحيوانات ترتسم على الأحجار في الماء تلقائيا (عندما تقع الزلازل تدفن الحيوانات في الجبال وترتسم صورها على الأحجار) وإن جهاز التصوير المستخدَم حاليا ما كان قد اختُرِع في عهد النبي ﷺ، وهو جهاز مهم جدا حيث يمكن به تشخيص بعض الأمراض. (فالأمر لا يتعلق بالصور العادية فقط، بل قال عليه السلام إن الصور يمكن أن تساعد على تشخيص الأمراض أيضا. في ذلك الزمن كانت هناك الأشعة السينية، أما الآن فقد تطور هذا النظام كثيرا. ويتابع حضرته ويقول:) لقد اكتُشف مؤخرا جهاز آخر للتصوير وتُصوَّر به عظام الإنسان كلها (أي بالأشعة السينية) حيث يأخذون بهذه الآلة صورا لتشخيص وجع المفاصل والنقرس وغيرهما من الأمراض، فتتبين حقيقة المرض. (أما الآن فقد ابتُكرت أدوات أخرى كثيرة كسكاننج scanning وايم آر آي MRI، فقد وضح حضرته هذه الآلات التي كانت متوفرة في ذلك العصر، وقال إنها آلة مفيدة جدا، ومن الباطل القول: لا تقفوا أمامها. يجب أن يكون الهدف صالحا. وإنما الأعمال بالنيات، وإنما يجب ألا يكون هناك شرك)

وإضافة إلى ذلك هناك منافع علمية كثيرة ظهرت للعيان بواسطة الصورة. فقد نشر بعض الإنجليز في كتبهم صور حيوانات العالم حتى أنواع الجراد وكل نوع من الطيور والدواب بالكاميرا، (وفي العصر الراهن هناك قنوات شتى من أجل ذلك كناشيونال جيوجرافيك وغيرها، فهي تنشر صور الحيوانات مع التفاصيل الأخرى عنها) مما أدى إلى تقدم علمي. فهل يُعقل أن يحرم الله تعالى الذي يرغِّب في العلوم استخدامَ جهازٍ مفيد تُشخَّص بواسطته أمراض مستعصية كثيرة، وهو وسيلة لاهتداء المتفرسين. فكل هذه الأفكار إنما هي جهالات انتشرت. (فمن الخطأ القولُ إن الصورة محرمة أو ممنوعة، إنما يجب أن تكون النية سليمة) لماذا لا يرمي المشايخ في بلادنا من جيوبهم وبيوتهم روبيات وقِطَعا نقديةً عليها صورة الملكة؟ (إذا كان هؤلاء المشايخ متطرفين لهذه الدرجة، فلماذا لا يرمون من بيوتهم عملة معدنية وورقية عليها صور الملوك، ولماذا يحملونها في جيوبهم؟) أليست على تلك القِطع النقدية صور؟!

من المؤسف أن هؤلاء الناس يقولون بغير حق ما يخالف المعقول، ويهيئون للمعارضين فرصة للسخرية من الإسلام. الإسلام حرّم اللغو وكل ما يؤيد الشرك، ولم يحرم ما يؤدي إلى ازدهار علم الإنسان ومعرفته، ويساعد على تشخيص الأمراض ويقرِّب المتفرّسين إلى الهدى. ومع كل ذلك لا أحب أن يتخذ أفراد جماعتي نشر صورتي بوجه عام- دون ضرورة ملحة- مكسبا ومهنة لهم، (أي إذا كان الهدف صالحا فلا بأس، لكن لا تجعلوا هذه الصور وسيلة للكسب)، لأن ذلك يؤدي إلى نشوء البدع رويدا رويدا ويوصل إلى الشرك. لذا أنصح جماعتي هنا أيضا أن يجتنبوا هذه الأمور قدر الإمكان. لقد رأيت بطاقات بعض الناس، ورأيت صورتي في زاوية على ظهرها. إنني أعارض بشدة نشرها بهذه الطريقة، ولا أريد أن يرتكب

هذه الأمور أحد من أبناء جماعتنا. العمل من أجل هدف صائب ومفيد أمرٌ ونشر الصور وتعليقها هنا وهناك على الجدران كما يعلق الهندوس صور صلحائهم ورهبانهم أمرٌ آخر. لقد لوحِظ دائما أن هذه الأمور تجرّ إلى الشرك رويدا رويدا وتؤدي إلى نشوء مفاسد كبيرة كما نشأت في الهندوس والنصارى. وآمل أن الذي يعظّم ويبجِّل مواعظي وهو ويتبعني بصدق، سيجتنب هذه الأمور بعد هذا الحكم وإلا فإنه يعمل بخلاف تعليماتي، ويتجاسر على التدخل في أمور الشريعة". (البراهين الأحمدية الجزء الخامس)

إذن يجب أن نفكر بدقة ما الذي نقصد من تعليق الصور، يجب ألا يؤدي بنا إلى الشرك بأي وجه. فإلقاء التحية على الصور والخضوع أمامها، من الشرك. الهندوس يعلقون على صور المرحومين عقدا. وقد ساد فينا أيضا أن البعض حين يلتقطون صورة العائلة يضعون معها صورة بعض كبارهم المرحومين في إطار كبير، ويظنون أنه أيضا معهم. فقد قال حضرته عليه السلام إن كل ذلك من الشرك والأمور الباطلة والبدع، ويجب اجتنابها. فقد أُخبرت أن بعض الأحمديين يفعلون ذلك عند تصوير الأعراس أيضا. يجب أن يكون الهدف صالحا، وإذا كنتم تلتقطون الصورة لتحفظوها في ألبومات كذكرى، فهو جائز، أما اتخاذ ذلك بدعة وإلقاء نظرة عليها وإلقاء التحية عليها صباحا، فمن الأمور الباطلة كما قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام.

يقول حضرة الصوفي غلام محمد إن البعض من أمريكا وإنجلترا كتبوا أنهم يريدون أن يروا صورة المدعي أي المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، ومن أجل ذلك تم التقاط صورة حضرته عليه السلام؟ وكان يعيش هنا عربي اسمه عبد المحيي، فقد نشر بطاقات بريدية كثيرة وطبع عليها صورة حضرته عليه السلام، فلما علِم حضرته أن صورته قد طُبعت على بطاقات بريدية، غضب كثيرا، وقال إنما التقطت صورتي من أجل حاجة دينية، ولا أريد أن تُتخذ صورتي وسيلة للمعاش، وتسوق إلى الشرك. فأُتلفت تلك البطاقات.

يقول حضرة مولانا غلام رسول راجيكي: حين بايعت سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وكتبت إليه أني ألتزم بكذا من الأوراد، وقلت أيضا إن المرشدين هنا يطلبون من مريديهم أن يرسخوا في مخيلتهم صورتهم فهم يقومون بذلك، وإني منذ رجعت إلى هنا بعد البيعة، قلت في نفسي إذا كان مريدو المرشدين من الطبقة الدنيا يرسخون أسماء مرشديهم وصورهم فلماذا لا أرسخ في مخيلتي اسم إمامي ومرشدي الذي هو المسيح الموعود والإمام المهدي من الله، ثم أفكر فيها كل يوم وأسعى لتحقيق كل غاية لي. فالتفكير في صورتك سيكون مباركا ومفيدا ومناسبا أكثر من التفكير في كل هؤلاء المرشدين، فأنت المسيح الموعود أما المرشدون الآخرون فلا أعرف هل يجوز اتباعهم أم لا؟ إذا كان الناس يفكرون فيهم فلماذا لا أرسخ صورتك في قلبي كل حين وآن.

يقول حضرته: حين كتبتُ ذلك إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام تلقيت ردًّا من سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بخط يد حضرة المولوي عبد الكريم، كتب فيه إن التفكير في المخلوق لا يؤدي إلى غير الشرك، أي إن ما تفكر فيه لن ينتج منه سوى الشرك. فلِذكر الله سبحانه وتعالى يكفي اسمه سبحانه وتعالى هو، وينبغي ترديد الصلاة على النبي

ﷺ بالصيغة التي عليها ختم سنته ﷺ. فبعد استلام هذه الرسالة تركت على الفور ذلك التفكير، وانقطعت في اللحظة نفسها عن الأوراد السابقة أيضا.

حضرة الأستاذ سيد نذير أحمد يقول حدثني سيد فضل شاه المرحوم المهاجر إلى قاديان، إن شخصا سأل المسيحَ الموعود عليه السلام عن صناعة الكيمياء، فقال عليه السلام: "إنهم يتخبطون في صناعة الكيمياء بحثا عن الرزق، ولا يستخدمون الوسائل الصحيحة التي خلقها الله وأجازها لكسب الرزق.

إن الكيميائيين لا ينالون مقام التوكل، ولذلك يتركون السبل الصحيحة المشروعة ويخلقون لأنفسهم طريقًا من عندهم، وهم لا يعلمون أن الله يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. ونحن نعدّ هؤلاء الأشقياء من أعظم المشركين. إن الله يُعلّم المؤمن في كتابه الكريم وصفةً كيميائية، من عمل بها رزقه الله تعالى من السماء (كما وعد، غير أن هذا الرزق لا يُنال إلا لمن يُقبل عليه ويتوجّه إليه. ويقول: إن الله يُبيّن للمؤمن هذه الوصفة الكيميائية التي إذا عمل بها أصبح كيميائيًّا حقيقيًّا،) ويتولى الله بنفسه سدّ كل حاجاته. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. انظر، إذا كانت نِعَم الدنيا كلها تُعطى للمتقي، فهل يمكن أن يكون محتاجًا لأحد؟ (إن الله يُهيّئ للمتقين من الأسباب، ويرزقهم من حيث لا يخطر ببالهم. فقال: إذا أُعطي نِعَم الدنيا، فلمن يكون المتقي محتاجًا بعد ذلك؟) وأقول: لو أن الكيميائيين أنفقوا في سبيل خالقهم الوقتَ الذي يضيّعونه في الكيمياء، لنالوا جميع مراداتهم، بشرط أن يستقيموا على التقوى استقامةً حقيقية". (روايات أصحاب أحمد، ج٣)

كيف كان لكلام حضرته عليه السلام المتعلق بالتوحيد، وللعمل الذي كان يقوم به في سبيله، أثرٌ بالغ في نفوس أصحاب الفطرة السليمة؟ يتبين ذلك من رواية أحد الأكابر المخلصين التي رواها حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه، فقال: كتب إلي مير عبد الرحمن، مفتش الغابات في "بارَه مُولا" بكشمير، أن والده كان في البداية حنفي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب أهل الحديث. وفي تلك الأيام كان يقول لصديقه المولوي محمد حسن المرحوم، ساكن "آسنور": نحن الآن ندّعي أننا أصحاب التوحيد العظيم، وربما تظهر جماعة أخرى تعدّنا نحن أيضًا من المشركين. ويقول والده: وهكذا حدث بالفعل، إذ كنا نؤمن بأن سيدنا عيسى عليه السلام كان يُحيي الموتى ويخلق الطيور. فلما سمعتُ أبيات المسيح الموعود عليه السلام التالية:

"هو إله أكثر الطيور في الغالب، فهنيئًا لك هذه المعرفة بالله! أيها المولوي، هل هذا هو التوحيد، قل بصدق: أيّ شيطان تقلِّده؟" عندها صحوتُ، فتركتُ الأخوَين في سريناغار عند الخال، وذهبتُ إلى قاديان مشيا على قدميّ، حيث تشرّفتُ بالبيعة. وهذا هو ما هداني إلى الأحمدية. (سيرة المهدي، ج٢)

قال مولانا غلام رسول الراجيكي رضي الله عنه: "ربما في عام ١٩٠١ كنت عند سيدنا المسيح الموعود عليه السلام فألقى حضرته خطابا حول موضوع توحيد البارئ، وقال في خطابه أن بعض الناس عند تلقي المنة من أحدهم يقولون له "جزاك الله" دون أن يقولوا "الحمد لله"، مع أنه إذا نظرنا بعمقٍ وجدنا أن هذه الكلمة أيضًا –

من حيث المعرفة- نوع من الشرك، وذلك لأن الشيء الذي أحسن به، والشيء الذي بسببه صار محسنا، هما أيضا في الحقيقة من خلق الله، لذا يجب على الممتنّ أن يذكر الله ويحمده قبل أن يقول للمحسن "جزاك الله"، ويقول: "الحمد لله" عند تلقي المنة. لأنه من الضروري من منطلق المعرفة والحقيقة أن يشكر المرءُ أولا خالقَ الأسباب، ثم يشكر ذلك الشخص المحسن.

كتب بهائي عبد الرحمن القادياني في مقال يتضمن تفاصيل آخر رحلة للمسيح الموعود عليه السلام إلى لاهور: لما أشرق النهار، شرع المنظمون في إعداد الدعوة، وأخذت مركبات الضيوف الكرام والوجهاء تتوافد واحدة تلو الأخرى. وكان المسيح الموعود عليه السلام سيلقي خطابا هناك، غير أن صحة حضرته كانت منهكة ضعيفة، وبلغ من الوهن والإعياء حدًّا لم يكن معه أي أمل أنه سيتمكن من الخطابة. ولذلك أرسل حضرته أمره إلى المولوي نور الدين رضي الله عنه بأن يتولى هو تقديم الزاد الروحي للضيوف القادمين. فشرع المولوي في وقته بالخطابة، ولكن بعد وقت وجيز أشرق علينا ذلك البدر المنير والشمس الساطعة بنفسه؛ أي أن المسيح الموعود عليه السلام جاء بنفسه بعد قليل.

فأوقف مولانا نور الدين رضي الله عنه خطابه، وقام حضرته المنير واقفًا يخاطب الحضور، فاستمر في خطابه نحو ثلاث ساعات بأسلوب بالغ القوة والتأثير. فأين تلك الحالة المرضية التي كان فيها الوقوف أمرًا عسيرًا، وأين ما جرى حين حضر فأمتع الحاضرين بخطاب ثلاثة ساعات، زاخر بالمعارف والعلوم، حتى انبهر منه الموافق والمخالف على السواء، وأصغوا إليه كلية كأنما سُحروا. وأحسوا من تلك المتعة الروحية بما أغناهم حتى عن الغذاء الجسدي.

وكان في خطاب حضرته من الانسياب والطلاقة ما جعل التدوين أمرًا عسيرًا، ومن القوة والجلال ما جعل الجمع الحاشد لا يكاد يُحسّ فيه بصوت تنفس، وكان حضرته عليه السلام يلقي خطابه بحماس، حتى إنه كان يتقدم في أثناء ذلك نحو المستمعين. رأيت بعيني وأحكمت ملاحظتي أن حضرته تقدم عدة خطوات من مكانه مرات عدة. ولم يكن واقفًا خلف الطاولة، بل كانت الطاولة خلف ظهره؛ (أي إنه لم يكن يخطب من ورائها، بل كان يقف أمامها، فكان يتقدم خطوة أو خطوتين في حماسة أثناء الخطاب.)

وقد جرت هذه الخطبة في صحن دار الدكتور السيد محمد حسين شاه قبل وفاته بعشرة أيام على أكثر تقدير، وكانوا يذكرونها باسم "تكميل التبليغ وإتمام الحجة". وكان الحوار مع عالم الفلك الإنجليزي قد جرى قبل ذلك في الطابق العلوي من دار خواجة كمال الدين؛ (يعني كانت تلك رحلة تبليغية حافلة). وفضلًا عن هذه الخطب ألقى حضرته خطبًا أخرى عديدة صغيرة وكبيرة.

ثم يكتب: في تلك الأثناء، وفي خضم تأليف "رسالة الصلح" حضرتْ مجموعة من النساء الهندوسيات على شكل وفد يرغبن في رؤية حضرته، وكان حضرته مقيمًا آنذاك في دار الدكتور السيد محمد حسين شاه. وإذ كان مشغولًا جدًّا فقد أراد أن يودّعهن بسرعة، إلا أنهن أبدين اعتذارهن وأصررن على طلب

الموعظة بأسلوب اضطرّ حضرته رغم شدة انشغاله إلى قبول طلبهن، فأوصاهن بالتوحيد ونهاهن عن عبادة الأصنام وحثّهن على الدعاء والتضرع إلى الله. وهذه الواقعة تعود إلى آخر يوم أو يومين من وجوده. وقد كانت تلك النسوة يرغبن في الإقامة طويلًا والإصغاء إلى المزيد من كلامه المبارك، غير أنهن اضطُررن مرغمات إلى الانصراف مبكرًا بسبب مشاغله الكثيرة.

وكذلك ذاع صيت خطبة أخرى من خُطَبه، اشتُهرت لأجل بعض عباراتها ولكونها آخر خطبه، وهي التي قال فيها: "دعُوا عيسى المسيح يموت، فإن في ذلك حياة الإسلام."

دعوا المسيح المحمدي يأتي، ففي ذلك يكمن مجد الإسلام.

هكذا كانت حرقته لإقامة التوحيد. فبالرغم من المرض والانشغال، لم يعبأ بأي شيء من أجل تبليغ رسالة الإسلام ورسالة التوحيد. فالسعي الجاد لإيصال رسالة التوحيد وجعلها جزءًا من الحياة هو العمل الذي يجب على أتباع المسيح المحمدي اليوم. نسأل الله تعالى أن يوفقنا للقيام بذلك.

أما أحوال العالم، وخاصة أحوال العالم الإسلامي، فالجميع يعلم ما يجري؛ فالحاجة إلى الدعاء كبيرة جدًا. لقد أُعلنت هدنة، لكنها لا تبدو دائمة، بل بدأت تظهر فيها التصدعات منذ الآن. تحاول الحكومة الإسرائيلية إيجاد ذريعة لمهاجمة لبنان لإثارة الإيرانيين ودفعهم للرد. وقد أدان بعض القادة الأوروبيين هذا الفعل، فكان ذلك على الأقل رفعًا للصوت وإظهارًا لشيء من الأخلاق، لكنه سيبقى في إطار هذا الحد؛ فهذا هو مقدار ما لديهم من موقف أخلاقي. فهم لا يريدون ولا يملكون الجرأة أو القدرة على ما هو أكثر من ذلك. وعلى كل حال، ينبغي لنا أن ندعو الله تعالى أن يرحم العالم الإسلامي.

*****